الأستاذ / مبارك بوطارن
المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية

تدريس التاريخ بين الطرق التقليدية والوسائل الحديثة

لم يكن هناك قبل عهد اليونان تاريخ بالمعنى المفهوم، لأن كلمة تاريخ History تعني تحديد الزمن ووصف مجريات الحوادث الماضية فيه. وقد أطلقت من ثم على العهد الثابت الذي يؤرخ به اليوم، مثل التاريخ الميلادي أو التاريخ الهجري أو نحوهما، ولم تظهر هذه الكلمة في اللغات الأوربية إلا بعد أن أطلق المؤرخ الشهير هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد كلمة Historia وتعني باليونانية البحث والتحري عن أحداث الماضي وتسجيل هذه الأحداث وتحليلها[1]. وقد تطابقت الكلمة بهذا المفهوم مع ماذكره

(1) A. Malet: Histoire de l'antiquité L'orient - La Grece - Rôme hachatte. Paris, 1929. p233-235

المؤرخ العربي الشهير ابن خلدون بعد ذلك بكثير عندما عرف التارخ في مقدمته[2]، على أنه بحث ونظر وتدقيق وتمحيص في أحداث الماضي. ومن هنا فهو سجل لهذا الماضي يمكن من خلاله دراسة تطور الإنسان، وما أحدثه في الحياة البشرية من منجزات حضارية ومادية أو روحية، ولاتتم هذه الدراسة إلا بالنقد والتحقيق، ولا يستطيع الإنسان أن يفهم نفسه وحاضره دون أن يفهم الماضي وأن يدرك حقيقته قدر المستطاع وإن كان الوصول إلى الحقيقة ليس بالأمر السهل، ولا يصرفه عن تحقيق هذا الهدف غموض الوقائع والحقائق التاريخية وإختلاطها او اضطرابها، فلا يجوز له ان يقبل كل كلام أو يصدق كل وثيقة أو مصدر بغير الدرس والفحص والإستقراء، فيأخذ الصدق أو اقرب ما يكون إليه.

وتماشيا مع هذا المنهج المتبع في البحث التاريخي، نرى أن الطريقة التي أصبحنا ندرس بها الوقائع والحوادث التاريخية طريقة تكاد تكون عقيمة أو لاتؤدي هدفها. تجعل من الطلبة في مختلف الأطوار التعليمية لا يولون لها أهمية، ليس بسبب أن هذه المادة غير علمية أو غير مرغوب فيها، وإنما يرجع ذلك حسب إعتقادي إلى المنهج المتبع في تدريسها. ذلك أنه من الأخطاء الشائعة في طرق

(2) ابن خلدون عبد الرحمن. المقدمة، دار الجيل - بيروت. د. ت، ص10

تدريس التاريخ على النحو التقليدي المتبع في مختلف مؤسساتنا الجامعية والتربوية محاولة استعراض الأحداث والوقائع التاريخية من زاوية ربطها بالأسباب والتبريرات المسبقة (العلية والمعلولية)، وفي الإطار الزمني والمكاني، ومن ثم تبدو الوقائع التاريخية متسلسلة ومترابطة، تربط بين السابق واللاحق، وعليه تكون الوقائع في سياقها التاريخي أسبابا(عللا) لوقائع لاحقة أو نتائج لحوادث سابقة، يتبع فيها أسلوب السرد التاريخي والإبتعاد عن التحليل، وإعطاء المادة التاريخية للطلبة كأنها مسلمات لاتقبل التحليل والنقد، أضف إلى ذلك عدم فتح باب المناقشة من خلال تغطية كل وقت الدرس مما لايسمح للطلبة من إلقاء أي تساؤلات حول الدرس، ربما لطول الدرس أحيانا، ولعدم توفر بعض الوسائل المادية المساعدة والتي من شأنها أن تقلص من الوقت المستغرق في الدرس. ولعل الأهم من هذا كله عدم طرح الدرس كإشكالية ومما زاد من هذا الأمر تعقيدا قلة الوسائل التوضيحية التي غالبا ما كانت تتمثل في السبورة والخريطة الجغرافية أحيانا.

ونعتقد أن هذا إتجاه يستحق أن نتوقف عنده بالنقد، خاصة ونحن في هذه الأيام بصدد إعادة النظر في برامجنا التعليمية بالنظر إلى ما تتمتع به دراسة التاريخ من أهمية عظمى ودور كبير في تشكيل فكر الإنسان وصقله على وجه العموم و فكر المواطن الجزائري على الوجه الخصوص إزاء كل المجالات الدراسية الأخرى.

فالاتجاه السائد الآن في البرامج التعليمية والتربوية المعاصرة هو الإتجاه التكاملي بين المواد والتخصصات والذي يهدف إلى توظيف هذه المواد للزيادة في التفسير وفهم الواقعة التاريخية بما يسود المجتمع نفسه من نظم اقتصادية واجتماعية، وهذا هو الاتجاه الاجتماعي في دراسة روح العصر دون الاقتصار على مجرد جمع الوقائع وتكديسها. (مثال: علاقة التاريخ بالآثار والجغرافيا والفلسفة).

يضاف إلى ذلك تعليم الطالب كيف يصل إلى مصادر المعلومات وليس إعطاءه مادة جاهزة تجعله يتوقف عندها ويتوقف معها فكره فلا يجتهد في البحث وتوسيع معارفه.

ولعل من الوسائل التي تجعل الطالب يعتمد على نفسه في التكوين، ومما يزيد الطلبة تشويقا في الدرس ولفتا للإنتباه والتركيز أكثر إستخدام الوسائل التقنية الحديثة (السمعية البصرية) مثل:

- الأشرطة الوثائقية والعلمية: والتي تجعل الطالب يشاهد بعينه بعض الوقائع التاريخية في إطارها الزماني والمكاني ولم لا الجغرافي أيضا وأن يفتح له عقبها باب المناقشة لإستكمال بعض النقائص عن طريق الحوار.

- إستعمال الجهاز العاكس: لعرض مختلف الصور والخرائط، حيث لا يجب أن نقلل من أهمية تحليل مضمون الصورة وما يلعبه من دور هام في عملية توسيع معارف الطالب وإستيعابه للدرس.

- إستخدام الوسائل المعلوماتية الحديثة: ذلك أنه يجب بناء برامج معلوماتية حول مختلف الحقب التاريخية يركز فيها على التمارين الذهنية مثل ما هو معمول به في اللغات حتى تجعل الطالب ينمي معارفه بمفرده وتكون بالتالي وسيلة دعم للدرس، ولم لا إستخدام شبكة الأنترنيت في البحث حول الوقائع التاريخية موضوع الدرس.

- هذا دون أن نهمل إستخدام النص لما له من فائدة في جعل الطالب يساهم في بناء الدرس من خلال التحليل والمناقشة والذي في إعتقادي إلى اليوم يعتبر الوسيلة الوحيدة الكفيلة بجعل الطالب يهتم بالدرس وهي طبعا وسيلة مستخدمة إلى جانب العروض.

وإلى جانب الوسائل السمعية البصرية الحديثة، هناك جانب آخر مهم يجب أن نسخره لفائدة الطلبة، ويتمثل في الزيارات الميدانية أو التدريب الميداني للمتاحف والمعالم الأثرية لإخراجهم من الروتين اليومي، وليقفوا في عين المكان وليشاهدوا بأم أعينهم ما دار بينهم وبين الأستاذ في قاعة الدرس من نقاش ولننقلهم من كونهم متلقين ومستمعين للدرس إلى كونهم صانعيه من جهة، وممارسين للمادة

ومشاهدين للحقائق ماثلة أمامهم فترفع من مستوى تلقيهم وتجعلهم عصاميين في تكوينهم وكل هذا العمل من شأنه أن يرفع من مستوى تكوين الطلبة، ويزيدهم تركيزا وتشويقا في الدرس، ويزيل أمامهم اللبس الذي كان يدور في أذهانهم حول الموضوع وتصوره بطريقة جيدة بعيدا عن الخيال الذي كان يدور فيه الدرس، وقد تكفي الطالب زيارة لمدة ساعتين لفهم الكثير من القضايا والوقائع التاريخية التي تتطلب الكثير من الحصص في القسم.

وفي الختام أود الإشارة إلى أن هذا لا يعني الإهتمام بهذه الوسائل وترك الطريقة الأخرى، خاصة وأن توفيرها ليس في متناول الجميع، وإنما محاولة التوفيق بين الجانبين النظري والتطبيقي في تدريس التاريخ حتى نعيد لهذه المادة مكانتها بين المواد الأخرى وخاصة وأنها أصبحت تقريبا مهمشة في منظومتنا التربوية، وحتى نستجيب للدواعي والأسباب التي تدعونا للتطوير المستمر للمادة المدرسة والتي من أهمها سوء وقصور المناهج الحالية، والتغيرات التي تطرأ على الطالب والبيئة والمجتمع والإتجاهات العالمية، والتغير في هياكل المعرفة والعلوم التربوية وهذا ما يدعو بطبيعة الحال إلى إعداد الطالب إعدادا جيدا.